الكلمة في القرآن الكريم
– رؤية من عين الخصائص إلى سبيل الترجمة –

عمار ساسي
جامعة سعد دحلب
البليدة – الجزائر –
dr.saciamar@yahoo.fr

المفردات في اللغات كالأفراد في المجتمعات. واللغات أنظمة من العلاقات تفعلها مفردات. والمجتمعات أنظمة من العلاقات يفعلها أفراد. وسمة الأنظمة الثبات، وسمة الأفراد الحركة، أي بين النظام (المجتمع) والفرد كما بين الثابت والمتحرك. وما بين اللغة والمفردة وكما بين النظام والفرد.

والمبتغي معرفة خصائص المفردة في اللغة، ينظر إلى خصائص الفرد في المجتمع. ومن هذه الخصائص الظاهرة التطور في الثابت، أي في النظام بين واحدية المعنى وتعددية الوظائف في سياق تطوري، أي في خط عمودي تاريخي. فمثال: زيد طفل... زيد شاب... زيد رجل... زيد شيخ... هي أوصاف بيولوجية متحركة يفرضها الزمن.

ومثال: زيد تلميذ... زيد طالب... زيد أستاذ... هي أوصاف تعليمية تربوية يفرضها زمن النجاح. والسؤال: فهل هذه معاني؟ أم دلالات؟ أم وظائف؟ والجواب: إن لكل فرد في المجتمع معنى واحد بالوضع ثابت، ووظائف متحركة تفرضها حركة الزمن في الحياة وظيفة فوظيفة. إذ لا يمكن أن يجمع بين عددها في الآن الواحد. فهو يلبسها حينا من الدهر، ثم يخلعها إلى أخرى لاحقة وهكذا.

وينتهي مفهوم الفرد في المجتمع إلى معنى وظيفة، والوظيفة هي فعل الصفة، والصفة هي عنوان الصفة. وهنا نلتقي بالثابت والمتحرك في ذات الفرد الذي هو معنى ووظيفة. فالمعنى ثابت والوظيفة متحركة. والتفريق بينهما بات ضرورة في البحث العلمي الأكاديمي. إذا ثبتنا هذا الأمر لدى الفرد في المجتمع، فكذلك نثبته لدى المفردة في نظام اللغة. فالمفردة هي سمة لمعنى لها وظيفة. فالمعنى وضع بالوضع فصارت تعرف به المفردة، فهو ثابت فيها. والوظيفة هي صفة متحركة فرضتها حركة الزمن التي لا تعرف التوقف أبدا. وعليه ينتهي مفهوم المفردة إلى معنى ووظيفة. فالأول ثابت والثاني متحرك، والتفريق بينهما أضحى ضرورة في البحث العلمي اللغوي، فمن أولى خصائص المفردة الإبانة عن المعنى، أي الكشف الدقيق عن المعنى الدقيق وحدها من حيث لا تشاركها غيرها فيه، ولو شاركها غيرها لحصل اللبس..

سر المقاربة بين الكلمة والشجرة:

المتأمل في القرآن الكريم يجد فيه نهجا مميزا في البيان، ذلك أنه ينحو في وصف المجرد التمثيل بالمجسد والمشخص، وتجد هذا البيان في مواضع عديدة منها قوله تعالى ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[1] - ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2] - ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[3] - ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي**

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.(4)

وسياق التمثيل هذا يصوغه بلونين، الأول بصيغة (مثله كمثل)، والثاني بصيغة (واضرب لهم مثلا) و(ضرب الله مثلا)، كقوله تعال: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾(5) و﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.(6)

وهنا يمكننا استخلاص خصائص الكلمة من خصائص الشجرة لفظا ومعنى. ولعل في تقريب الكلمة من الشجرة جملة من الأسرار المودعة، منها أن الكلمة الطيبة هي رمز للحياة الطيبة،كما تدل عليها الشجرة الطيبة شبرا بشبر. ومنها أن الكلمة الطيبة هي رمز خير،كما هو الأمر في الشجرة الطيبة. ومنها أن الكلمة الطيبة هي سوية الشكل والبناء كالشجرة، فهي ثابتة بأصلها في الأرض كثبات الشجرة الطيبة بأصلها. وهي متحركة بفروعها في السماء كتحرك فروع الشجرة الطيبة. وهي ذات أكل طيب دائم بإذن الله تعالى كأكل الشجرة الطيبة. إذن الكلمة كالبناء يقوم على الأسس التالية:

– الأصل: الدال على العراقة والماضي والتاريخ الممتد في عمق الأرض، والثبات بأصل الوضع.

– الفرع: الدال على الحركة والتطور الممتدين في السماء علوا وقيمة.

– الثمرة: الدالة على الوظيفة النفعية في الحياة، فالثمرة للأكل والكلمة للاستعمال. والثمرة حياة للفرد، والاستعمال حياة لمفردة. فمن لا أصل له لا فرع له، ومن لا فرع له لا ثمرة له.

– البنية النظامية: للشجرة هي الأصل والفرع والأكل، أما الكلمة فهي الحروف الأصول والصيغة والمعنى والاستعمال. فهذا استنتاج متعلق بالموضوع، على الرغم من وجود أسرار أخرى ليس المقام مقامها.

وأحسب أن الفعل الترجمي هو ملزم بمراعاة هذه الأسس رأسا، وإلا غدا بعيدا عن إصابة الترجمة. كما أحسب أن اللغات التي كلماتها غير مؤسسة مفروض عليها الانقراض والتلاشي، وقد حصل هذا للعديد من اللغات الأعجمية، حيث عاشت حينا من الدهر ثم ماتت، ولم يبق منها إلا آثار دالة عليها. قال تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾.[7]

في خصائص الكلمة في القرآن:

ويمكن ضبطها في: الاشتقاقية والاقتصادية والوزن والإبانة والدقة والمرونة.. إذا قلنا الكلمة في القرآن، فإننا نريد بها الكلمة العربية الفصيحة التي نزل القرآن الكريم بها، والتي عبر عنها بقوله: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[8] وقوله ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾﴿**عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾.[9] وهي على جملة من الخصائص المميزة والفريدة التي تفرض الفهم والاستيعاب إلى سبيل الترجمة. وغيابها عن ذهن المترجم قد يجعل الفعل الترجمي

مضطربا وذا عوج. الأمر الذي يسوق إلى انحراف المفاهيم، فتتعطل بذلك المصالح كبيرها وصغيرها.

الاشتقاق في الكلمة:

لا يخفى على ذي بال أن حركية الحياة في كل شيء هي قائمة على خاصية الاشتقاق والتوالد. وأن إشارات ذلك في القرآن الكريم كثيرة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.[10] واللسان العربي لسان طبيعي لا يشذ على طبيعة حركية الحياة فوق الأرض. وهو لسان اشتقاقي، وهي خاصية أساسية فيه لا تتوفر في كثير من الألسن البشرية. إن العربية لغة اشتقاقية لأنها تعتمد الحركة الذاتية في توليد الألفاظ بعضها من بعض، وهو نموذج متميز تماما عن نموذج اللغات الغربية المشهورة والسائدة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية التي هي لغات انضمامية وإلصاقية كالألمانية التي تذهب بهذه الظاهرة إلى أقصاها، إذ تتشكل الكلمات عند توليدها بواسطة الخاصية الإلصاقية المتتابعة. كما أن خاصية الاشتقاق تمثل مظهرا اقتصاديا ظاهرا في اللسان العربي، بحيث تضبط نظامه المحكم في توليد المفردات وفق حاجات على أسس تحفظ أصول الكلمة، بحيث تثبت كلما اقتضى الحال ودعت الحاجة إلى الاشتقاق والتوليد، وتنضبط وفق أوزان الكلمات وصيغ المفردات، وفي دوائر دلالاتها الكلية، والصيغ والأوزان في اللسان العربي كثيرة ومحدودة.

لقد جاء في كلام أحمد بن فارس فيما نقله السيوطي في المزهر قوله: أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، واسم الجن مشتق من الاجتنان. وأن الجيم والنون تدلان أبدا

على الستر. تقول العرب للدرع جنة، وأجنة الليل، وهذا جنين، أي في بطن أمه. وأن الإناس من الظهور، يقولون: آنست الشيء: أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل.(11)

ودراية خاصية الاشتقاق في فعل الترجمة ضرورة، ذلك أن الكلمة في القرآن هي: (صيغة ووزن وحدث- معنى-). والصيغة هي الهيئة العارضة للفظ باعتبار الحركات والسكنات وتقديم بعض الحروف على بعض، وهي صورة الكلمة والحروف مادتها، والأبنية هي الحروف مع الحركات والسكنات المخصوصة. وهناك من يرى الصيغة هي الوزن، وهناك من يفرق بينهما على أساس أن الوزن هو أصل المادة، والصيغة هي تسمية الأصناف مثل صيغة الماضي أو صيغة اسم الفاعل أو صيغة الصفة المشبهة، وهكذا. أما الرضي الاستربادي شارح شافية ابن الحاجب فيرى الصيغة هيئة للكلمة التي لا يمكن أن يشاركها فيها غيرها من حيث عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه. كما أن للصيغة أثرا كبيرا في الدلالة، فمثلا صيغة (فعالة) بضم الفاء هي الدالة على بقايا الأشياء، وهو معنى كلي كالحثالة والنفاية والبراية والصبابة... فإذا كسرت فاء الصيغة صارت (فعالة) وتدل على الحرفة كصناعة وزراعة وحياكة وحدادة،،، وهذه من مرونة العربية المنتظمة التي بها تلبي حاجات عصرنا، بل حاجات كل عصر. وبعد هذا كله فهل نحن نذهب لترجمة المعنى فحسب، من دون مراعاة المكونات الأخرى للكلمة؟

وعليه فالاشتقاق يمكن أن يسهم بقسط وافر في استصواب الترجمة. وهنا يمكن التمثيل بالآتي:

كلمة (**قرآن**) التي ترجمتها المعهودة بـ: (Coran). فأول الأمر هل هذه ترجمة حقيقية، أم شيء آخر لا نعرفه؟؟ الأمر الذي يدفعنا إلى للرجوع إلى التحديد العلمي الدقيق لمصطلح الترجمة، وذلك حتى يتبين لنا الخيط الأبيض فيه من الخيط الأسود. والرأي هو أن كلمة (قرآن) تفيد في العربية الفصحى معاني مضبوطة ودقيقة منها:

– فعل القراءة التي هي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.[12]

– وهي في صيغة مصدر على وزن (فعلان) بضم الفاء، نحو كفران وغفران التي من دلالاتها الكلية الكثرة والتكثير. والمصدر حدث مطلق غير مقيد بزمان ولا مكان، وفيه دلالة الثبوت والدوام المطلق.

وحين نغوص أكثر في معاني الكتاب المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجد له تسمية ذاتية واحدة وتسميات صفات عديدة. أما التسمية الواحدة فهي (الكتاب). قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾.[13] أما الأسماء الصفات فهي: القرآن، التنزيل، الذكر، البيان، البلاغ...

يقول الإمام عبد العظيم الزرقاني: أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾،[14] ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق. وإليه ذهب اللحياني وجماعة. أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل، أي موضوع من أول الأمر علما على

الكلام المعجز المنزل، غير مهموز ولا مجرد من (أل)، فكل ذلك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وإذا دخلته (أل) بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف. ويقال للقرآن فرقان أيضا، وأصله مصدر كذلك وثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه من بعض في النزول، أو السور والآيات. قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾.[15]

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم، بل جعلها بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه، كما ترجع صفات الله تعالى على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال. ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة: الكتاب – الذكر – التنزيل. وقد تجاوز صاحب البرهان حدود التسمية فبلغ بعددها خمسة وخمسين، وأسرف غيره في ذلك حتى بلغ بها نيفا وتسعين، كما ذكره صاحب التبيان. واعتمد هذا وذاك على إطلاقات واردة في كثير من الآيات والسور. وفاتهما أن يفرقا بين ما جاء من تلك الألفاظ على أنه اسم وما ورد على أنه وصف..[16]

كذلكم القرآن كلام الله، فالأصوليون والفقهاء وعلماء العربية يطلقونه على الكلام اللفظي، لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام، وهو لا يكون إلا بالألفاظ. وكذلك علماء العربية يعنيهم أمر الإعجاز، فلا جرم كانت وجهتهم

الألفاظ. ومن كلامه هذا نخلص إلى أمر هو أهمية دراية خاصية الاشتقاق في الكلمة لتكون سبيلا ميسرا إلى ترجمة سليمة.

ومن خاصية الاشتقاق تبادر خصائص فرعية أخرى منها خاصية الاقتصادية اللغوية في الكلمة. والاقتصاد اللغوي هو توازن بين المجهود والمردود عند النطق بالكلمة. إذ إن نسبة ثمانين بالمائة من كلمات العربية هي ثلاثية، والاشتقاق يبني فعله على خاصية الاقتصاد، بل هو مظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي، وعامل أساس في نماء اللغة وبقائها.

فكلمة (**زكاة**) لا يمكن أن تحصل على ترجمة سليمة إذا لم تحلل إلى عناصرها المكونة بمدلولاتها، وهي الصيغة والوزن والدلالة الكلية والفعل. فالصيغة (فعال) تفيد فعل الشيء بكيفية آلية تشبه العمل بالذات. وهي مصدر دال على الحدث المطلق المقيد للدوام والثبات. والفعل (زكى) يفيد معنى نما وكثر. زكا الزرع أي نما وكثر.

– وكلمة (**صيام**) هي على صيغة (فعال) بكسر الفاء، والغالب في هذا المصدر الدلالة على الامتناع، كأبى إباء ونفر نفارا وشرد شرادا. والصيغة (الصفة) جاءت للدلالة على الامتناع، وبلوغ الأشياء نهايتها. وهي سمات محققة في الصيام لأنه يفيد الامتناع عن المحظورات لبلوغ الغايات. وقد دلت الآية على ذلك صراحة في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.[17] وتقرأ من الآية الكريمة صفات الاستمرارية والدوام والثبات عبر الزمان لهذه الفريضة. لذا ناسبتها صيغة الاسم المفيدة للثبات والدوام من غير تجدد.

– وكلمة (**حج**) التي جاءت على صيغة (فعل) للدلالة على التحول والانتقال أي الفاعل بنفسه، وانتقاله بذاته في المكان من مكان إلى مكان، أو في الأفعال والشؤون من حال إلى حال. والدلالة الكلية للصيغة هي اسم معنى لحدث مصدري يفيد الحركة والعمل والصنع. وكون الحج أصلا هو قصد للزيارة، والقصد في الحقيقة هو حركة قلبية من الأهل إلى الله، تنبعث عنها حركة البدن بالتبع، والأعمال بالثبات. وكون الزيارة المقصودة هي لإقامة النسك، وكون هذا الأخير هو عمل محكم ببداية ووسط ونهاية، وبصفة وهيئة، فقد صار كالصنع المتقن. لذا نجد إشارات الإحكام والإتقان في الحج واضحة في آية البقرة من قوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**.(18)

وإذا كانت الأعمال بالنيات، فغن الأمور بمقاصدها، وعليه فكل من القصد والزيارة والصفة قد أتتلف وانسجم وامتزج للدلالة على الحركة والعمل والصنع. وأن التحول والانتقال هما متضمنان في الحركة.

فالصيغة والدلالة الكلية والمعنى وطبيعة أصوات الكلمة أساسيات مكونة تعمل في انسجام دقيق وتلاحم وثيق لتجلية المعنى المحكم للكلمة، إذ المعنى المحكم يخرج من جملة تفاعلات عناصر مكونة للكلمة. وقد عرفوا المعنى بما يعرف اللفظ. وعرفوه أيضا بما يخرج من الأصوات والصيغة والدلالة الكلية. وأحسب أن هذه أساسيات أولية لفعل الترجمة السليم.

الترجمة بين الموجود والمفقود:

هناك أمر أراه في غاية الأهمية لتصويب الفعل الترجمي، وهو معادلة الموجود والمفقود، أي الترجمة الإفرادية والترجمة المركبة للكلمة في القرآن الكريم. وبيانها هو كالآتي:

(الكلمة الأم) ..... (الكلمة الهدف) ..... (الترجمة).

1- الموجود ..... الموجود ..... بالمصطلح.

2- الموجود ..... المفقود ..... بالتركيب.

3- المفقود ..... الموجود ..... بالتركيب.

فركن الموجود يخص الأشياء والمصطلحات المشتركة في وجودها بين لغة الأم ولغة الهدف. وهي في الغالب تخص قضايا الحياة عامة. أما ركن (الموجود المفقود) فيخص الأشياء والأسماء الموجودة في لغة الأم، المفقودة في لغة الهدف. وهي التي تخص عين موضوع الكلمة في القرآن. فكل من كلمة (قرآن) و(زكاة) و(صلاة) و(حج) و(صيام) موجودة في اللسان العربي، وقد عهدتها العرب وعرفت مضامينها، بل كانت معاملات سارية في حياتها، وهي مفقودة في مجتمع

لغة الهدف. وما كان موجودا تبعه المصطلح في الوجود، وما كان مفقودا تبعه المصطلح في عدم الوجود.

والذي يعنينا أساسا في هذا البحث هو معادلة (الموجود المفقود)، فكلمة (قرآن) التي اعتاد الناس ترجمتها بـ: (Coran) هي في الحقيقة ليست ترجمة محكمة، ولا هي حاملة لشروط العملية الترجمية بتاتا. وذلك راجع – برأيي– إلى الآتي:

- **(قرآن) في لغة الأم (Coran) ..... في لغة الهدف**
- (صيغة عامرة) ..... (صيغة فارغة)
- (معاني القراءة، وتتابع الكلمات، ..... (هيكل لا معنى له) (كلام الله تعالى المنزل على الرسول..)
- (كلمة عربية بخصائصها الصوتية ..... (ترديد لهجي لأصوات والصيغية و الميزانية) كلمة عربية فارغ المعنى، وليس ترجمة)
- (المقترح في كلمة قرآن) ..... (ترجمة تركيبية تركز على مضمون الكلمة)

أما في معادلة (الموجود المفقود)، فلا تترجم الكلمة الموجودة بكلمة مفقودة مجهولة، لأن أصلها غير موجود في لغة الهدف. فهي بمنزلة الدخيل العربي على اللغة الأعجمية. والسؤال فهل يعامل معاملة الدخيل الأجنبي على العرب. وعلى هذا النمط يجري القياس على العديد من الكلمات في القرآن الكريم من مثل: زكاة وصيام وحج والضياء والغنيمة واليقين والشك والريب والإخفاق... وهي كثيرة.

وفي الأفعال نجد (نبذ) بفتح النون وبكسر الباء في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾،[19]

وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.[20] وفي حروف المعاني (لدن) و(عندنا) في قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[21] و﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.[22] والاستثناء بـ (إلا وغير) في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[23] و﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[24] و﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[25] يقول أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: قال جل شأنه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[26] فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة. فلما خص جل شأنه اللسان العربي علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين. قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلما، فضلا عن يسمى بينا أو بليغا. وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط. لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد

والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية.

وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال:

ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[27] لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء. وكذالك قوله جل ثناؤه ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾.[28] فإن قال قائل: فهل يوجد من سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: إن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلي الأعلى خالق كل لغة ولسان، لكن الشعراء قد يومئون إيماء ويأتون بالكلام الذي لو أراد مريد نقله لاعتاص وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس:

فدع منك نهبا ضيح في حجراته – ولكن حديثا ما حديث الرواحل

بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه. وكذا قول القائل: الظن على الكاذب. و(نجارها نارها) و(هو باقعة)... وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات. ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعي به. والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل...

ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم.

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم: ذات الزمين، وكثرة ذات اليد، ويد الدهر، وتخاوصت النجوم، ومحت الشمس ريقها، ودرأ الفيء، ومفاصل القول، وأتي بالأمر من فصه، ووهو رحب العطن، وغمر الرداء، ويخلق، ويفري، وهو ضيق المجم، قلق الوضين، رابط الجأش، وهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة. وما في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر، قال الله جل ثناؤه: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[29] و﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[30]

و﴿**وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾[31] و﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[32] و﴿...**إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ...**﴾،[33] و﴿**وَلَا يَحِيقُ**

الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾،[34] وهو أكثر من نأتي عليه... ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض، ولما حوته أجلاد وأجلاد.[35]

استنتاج في فقه تحديد المصطلح:

الشائع في تعريف مصطلح الترجمة هو: نقل معنى الكلمة أو الجملة من لغة إلى لغة أخرى. إذ بهذا التحديد قد يأخذ التعريف اتساعا غير ممدوح يبتعد فيه عن التدقيق المحكوم به. ذلك أن كلمة نقل نقرأ منها عدة صور، منها ما يصيب الترجمة رأسا، ومنها ما لا يصيبها أصلا.

فكلمة (الكتاب) ..... ترجمتها ..... (le livre)

وكلمة (قرآن) ..... ترجمتها ..... (Coran)

ففي الأولى ربما قد حصل بيان المعنى من لغة إلى لغة، أما في الثانية فلا نشعر فيها أننا بينا المعنى، إنما نقلنا لفظ الكلمة العامر من لغة 1، بحيث صيرناه لفظا فارغا في لغة 2. والسؤال: فهل هذا من الترجمة؟

وعليه فترجمة كلمة (قرآن) تحتاج – برأينا – إلى صيغة جملة ضابطة لمعناه بدقة، لأن المفقود لا تحصل ترجمته إلا بصيغة تركيبية.

عرف الإمام التهناوي الترجمة (traduction) (translation): بفتح التاء والجيم ملحق فعللة، كما يستفاد من الصراح وكنز اللغات، وفي الفارسية: بيان لغة ما بلغة أخرى. واللسان المترجم به هو لسان آخر، وقال: ذلك يسمى الترجمان كما في المنتخب. وفي اصطلاح البلغاء هو عبارة عن نظم بيت عربي باللسان الفارسي أو بالعكس، أي ترجمة بيت شعر من الفارسية إلى العربية...[36] إذ في التعريف تركيز على فعل بين، وليس نقل وهذا أمر مهم في دقة التوظيف.

وفي السياق الترشيح يقول الراغب الأصفهاني: الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره. يقال: صرفته فانصرف، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾،[37] وقال: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا**﴾،[38] أي لا يقدرون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب، أو أن يصرفوا أنفسهم عن النار. وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التغيير، ومنه قول العرب: لا يقبل منه صرف ولا عدل. والتصريف كالصرف إلا في التكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر. وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال. ومنه تصريف الكلام وتصريف الدراهم... يقال لنا به صريف. والصريف اللبن إذا سكنت رغوته، كأنه صرف عن الرغوة أو صرفت عنه الرغوة. ورجل صيرف وصيرفي وصراف، وعنز صارف كأنها تصرف الفحل عن نفسها. والصرف هو صبغ أحمر خالص عن غيره وصرف كأنه صرف عنه ما يشوبه. والصرفان الرصاص، كأنه صرف عن أن يبلغ منزلة الفضة...[39]

وعلى هذا فحد الترجمة ليس نقل معنى الكلمة من لغة إلى لغة، ذلك أن مصطلح نقل لا يفيد معنى التحويل الذي هو عصب الفعل الترجمي، لأن معناه يذهب إلى حركة انتقال من مكان إلى مكان دون صرف ولا تحويل، ومنه ثنائية النقل والعقل. وعليه أحب ترشيح فعل (صرف) لدلالته على التحويل، ولأصالته واتساع استعماله. وعليه يذهب تحديدها إلى: صرف أو تصريف الكلمة

من لغة إلى لغة لفظا ومعنى. ولذا فالترجمة ليست سوى عملية تصريف لمعاني الأشياء من لغة إلى لغة.

1- كلمة (باب) ..... تصريفها ..... (porte)

المعنى الواحد ..... فهذه ترجمة.

2- كلمة (قرآن) ..... (نقل) ..... (Coran)

(بالمعنى) .... (بدون معنى)

(في ل1) ..... (في ل 2)

وعليه فليست هذه بترجمة لأن عملية التصريف منتفية. فهي إذن ترديد لفظي بنفس أصوات ل1. والحل هو أن الموجود يقابله المصطلح (المفردة)، وأن المفقود يقابله ترجمة التركيب. وبذلك تكون الترجمة على صورتين ملزمتين:

1- الترجمة الإفرادية في حالة الموجود

2- الترجمة التركيبية في حالة المفقود

الخاتمة:

وبعد فليس هذا البحث سوى رؤية مجتهدة في ضبط نقاط جد دقيقة تخص الفعل الترجمي، ومنها التي ركنت إلى النسيان تبعا لهيمنة العادة المعهودة، إذ بحكم التقادم والاستعمال جعلت الخطأ صوابا. مما أضحت على إثرها كثير من مسائل الترجمة تقبع في خانة الخطأ الشائع. وقد يكون مجرد التحدث فيها، أو إثارتها عاملا موجبا في هذه الدراسة فضلا عن مقترح بديلها. ومن هذه المسائل:

– تحديد مفهوم الترجمة بدقة علمية، وبه تخرج كثير من الظواهر المعهودة منها، وهي ليست منها.

– ترجمة الكلمة في القرآن، ومنها لفظة (قرآن) بمصطلح (Coran).

وهل تعد هذه ترجمة صائبة عامرة؟؟ أم هي شيء آخر غيرها؟

ترجمة الموجود بالموجود ..... يحصل بالمصطلح.

وترجمة الموجود بالمفقود ..... يكون بالتركيب.

وللبحث صلة.

هوامش:

1- البقرة 171.

2- الجمعة 05.

3- البقرة 17.

4- النور 35.

5- الكهف 45.

6- إبراهيم 24-25.

7- الذاريات 37.

8- النحل 103.

9- الشعراء 193–195.

10- الذاريات 49.

11- أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ص 66–67.

12- عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، دار الفكر، ص 14-15.

13- البقرة 02.

14- القيامة 17-18.

15- الفرقان 01.

16- عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص 15.

17- البقرة 183.

18- البقرة 197-202.

19- الأنفال 58.

20- الكهف 11.

21- هود 01.

22- الأنبياء 84.

23- آل عمران 144.

24- النساء 115.

25- آل عمران 85.

26- الرحمان 03-04.

27- الأنفال 58.

28- الكهف 11.

29- البقرة 179.

30- المنافقون 04.

31- الصف 13.

32- يونس 26.

33- يونس 23.

34- فاطر 43.

35- أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، ص 15.

36- محمد علي التهناوي، **موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم**، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، ص414.

37- آل عمران 152.

38- الفرقان 19.

39- الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكاتب العربي، ص 287–288.

مكتبة البحث

– القرآن الكريم – مصحف المدينة المنورة – رواية حقص عن عاصم.

.....

– أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1993.

– عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، دار الفكر.

– الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكاتب العربي.

– محمد علي التهناوي، **موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم**، ج1، مكتبة لبنان ناشرون.